

خطبة الجمعة بتاريخ ١٨/٤/٢٠٢٥ الموافق ٢٠ شوال ١٤٤٦ هـ

## التَّحْذِيرُ مِنَ الْكِبْرِ وَالْفَخْرِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ وَنَشْكُرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا مِثْلَ لَهُ وَلَا ضِدَّ وَلَا نِدَّ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَحَبِيبَنَا وَعَظِيمَنَا وَقَائِدَنَا وَقُرَّةَ أَعْيُنِنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ وَصَفِيُّهُ وَحَبِيبُهُ مَنْ بَعَثَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ هَادِيًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا بَلَّغَ الرِّسَالَةَ وَأَدَّى الْأَمَانَةَ وَنَصَحَ الْأُمَّةَ وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ فَجَزَاهُ اللَّهُ عَنَّا خَيْرَ مَا جَزَى نَبِيًّا مِنْ أَنْبِيَائِهِ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

اتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ الْقَائِلِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾<sup>١</sup>.

تَقْوَى اللَّهِ إِخْوَةَ الْإِيمَانِ مَدَارُهَا عَلَى أَمْرَيْنِ عَظِيمَيْنِ أَدَاءُ الْوَاجِبَاتِ وَاجْتِنَابُ الْمُحَرَّمَاتِ ... اجْتِنَابُ الْمَعَاصِي، وَكَلَامُنَا الْيَوْمَ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى عَنِ مَعْصِيَةِ عَدَّهَا الْعُلَمَاءُ مِنْ مَعَاصِي الْقَلْبِ أَلَا وَهِيَ الْكِبْرُ وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ. فَالْتَّكْبُرُ عِبَادَ اللَّهِ مِنْ مَعَاصِي الْقَلْبِ وَهُوَ نَوْعَانِ الْأَوَّلُ رُدُّ الْحَقِّ أَيُّ أَنْ يَعْرِفَ الْحَقَّ وَلَا يَلْتَزِمَ بِهِ وَيَقْفَ عِنْدَهُ وَالثَّانِي اسْتِحْقَارُ النَّاسِ وَسَبَبُهُ نَاشِئٌ مِنَ الْقَلْبِ وَإِنْ كَانَتْ مَظَاهِرُهُ مِنْ أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْقَلْبَ لَمَّا يَشْعُرُ بِالْتَّكْبُرِ تَظْهَرُ آثَارُهُ عَلَى الْجَوَارِحِ، فَيَنْظُرُ الْمُتَّكَبِّرُ بَعَيْنِ الْإِحْتِقَارِ إِلَى الْفَقِيرِ أَوْ يُعْرِضُ عَنْهُ تَرْفُعًا، أَوْ يَرُدُّ الْحَقَّ عَلَى قَائِلِهِ مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّ الصَّوَابَ مَعَ الْقَائِلِ لِكُونِهِ أَصْغَرَ مِنْهُ سِنًا أَوْ أَقَلَّ جَاهًا أَوْ يَتَّكَبِّرُ فِي مِشْيَتِهِ فَيَمِشِي مِشْيَةَ الْخَيْلَاءِ لِلتَّكْبُرِ. كُلُّ هَذَا مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ الْمُتَّكَبِّرِينَ يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَمْثَالِ الذَّرِّ - أَيِ التَّمْلِ الْأَحْمَرِ الصَّغِيرِ - يَطْوُهُمُ النَّاسُ بِأَقْدَامِهِمْ.

<sup>١</sup> سورة الحشر/ ١٨.

فَعَلَيْكُمْ إِخْوَةَ الْإِيمَانِ بِالتَّوَاضُّعِ. فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "إِنَّكُمْ لَتَغْفُلُونَ عَنْ أَفْضَلِ الْعِبَادَةِ التَّوَاضُّعِ"<sup>٢</sup> اهـ وَلِذَلِكَ كَانَ أَكْبَرُ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ تَوَاضُّعًا. سَيَدُنَا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَرَجَ مَرَّةً لِلْجُمُعَةِ وَلَبَسَ اللَّبَاسَ الَّذِي يَلْبَسُهُ الْمُسْلِمُ لِلْجُمُعَةِ وَهُوَ فِي طَرِيقِهِ نَزَلَ عَلَيْهِ مِنْ مِيزَابِ دَارِ الْعَبَّاسِ دَمٌ فَرَحَيْنِ دُجْحًا مَعَ مَاءٍ فَذَهَبَ وَغَسَلَ مَا نَزَلَ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: يُزَالُ هَذَا الْمِيزَابُ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ هَذَا الرَّسُولُ وَضَعَهُ فَقَالَ عُمَرُ يُعَادُ كَمَا كَانَ، وَقَالَ لِلْعَبَّاسِ تَطَّلِعْ عَلَى ظَهْرِي، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ يَقُولُ لِلْعَبَّاسِ عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَطَّلِعْ عَلَى ظَهْرِي، وَعَزَمَ عَلَيْهِ فَطَلَعَ الْعَبَّاسُ عَلَى ظَهْرِهِ وَأَعَادَهُ.

التَّوَاضُّعُ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ نَتِيجَتُهُ سَلَامَةٌ مِنَ الْفَخْرِ وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُحِبُّ الْفَخْرَ مِنْ عَبْدِهِ سِوَاءَ كَانَ فِي الثِّيَابِ أَمْ فِي الْأَثَاثِ أَمْ فِي الْمَسْكَنِ أَمْ فِي نَحْوِ ذَلِكَ، بَلِ الَّذِي يَعْمَلُ الْعَمَلَ لِلْفَخْرِ أَيْ لِإِظْهَارِ أَنَّ لَهُ عَلَى النَّاسِ مَزِيَّةً وَأَنَّ غَيْرَهُ لَيْسَ لَهُ ذَلِكَ فَعَلَيْهِ ذَنْبٌ كَبِيرٌ، فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَلْبَسُونَ الثِّيَابَ الْفَاخِرَةَ لِلْفَخْرِ، أَوْ يَبْنُونَ الْبِنَاءَ الْجَمِيلَ لِلْفَخْرِ، أَوْ يَرَكِبُونَ الْمَرْكُوبَاتِ التَّفَيْسَةَ الْجَمِيلَةَ لِلْفَخْرِ، لَوْ عَجَلَ اللَّهُ عُقُوبَتَهُمْ لِعَاقِبَتِهِمْ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ، لَكِنَّهُ يُؤَخِّرُ عَذَابَ أَكْثَرِ الْخَلْقِ إِلَى الْآخِرَةِ، وَقَدْ يُظْهِرُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عُقُوبَةً عَلَى الْبَعْضِ فِي الدُّنْيَا لِيَعْتَبَرَ بِهَا مَنْ شَاءَ اللَّهُ لَهُ أَنْ يَعْتَبَرَ.

فَالْفَخْرُ مَعْنَاهُ أَنْ يَفْعَلَ الشَّخْصُ مِثْلَ ذَلِكَ لِيُعْجَبَ بِهِ النَّاسُ، يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ لَهُ اخْتِصَاصٌ عِنْدَ النَّاسِ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ وَالتَّفْخِيمِ فَإِذَا لَبَسَ لِبَاسًا جَمِيلًا لِلْفَخْرِ كَانَ عَلَيْهِ إِثْمٌ وَإِذَا اقْتَنَى أَثَاثًا جَمِيلًا لِلْفَخْرِ كَانَ عَلَيْهِ إِثْمٌ وَإِذَا رَكَبَ سَيَّارَةً جَمِيلَةً لِلْفَخْرِ كَانَ عَلَيْهِ إِثْمٌ وَإِذَا بَنَى بِنَاءً لِلْفَخْرِ كَانَ عَلَيْهِ إِثْمٌ أَيْ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ وَعِظَائِمِهَا أَمَّا إِذَا فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ لِلتَّجَمُّلِ فَقَطْ وَلَيْسَ لِلْفَخْرِ فَيَلْبَسُ الثَّوْبَ الْأَنِيقَ لِلتَّجَمُّلِ وَيَفْرَحُ بِنَفْسِهِ لَا لِلْفَخْرِ وَيَرَكِبُ السَّيَّارَةَ الْفَاخِرَةَ لِلتَّجَمُّلِ لَا لِلْفَخْرِ فَلَا ذَنْبَ عَلَيْهِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُتَوَاضِعِينَ الزَّاهِدِينَ الصَّالِحِينَ الْعَابِدِينَ النَّاسِكِينَ، الْوَالِهِينَ بِمَحَبَّتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

<sup>٢</sup> رَوَاهُ النَّبَيْهِيُّ.

## الخطبة الثانية:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ وَنَشْكُرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ الْوَعْدِ الْأَمِينِ وَعَلَى إِخْوَانِهِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ. وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَالِ الْبَيْتِ الطَّاهِرِينَ وَعَنْ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَعَنْ الْأَئِمَّةِ الْمُهْتَدِينَ أَبِي حَنِيْفَةَ وَمَالِكٍ وَالشَّافِعِيَّ وَأَحْمَدَ وَعَنْ الْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ أَمَّا بَعْدُ عِبَادَ اللَّهِ فَإِنِّي أُوصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ فَاتَّقَوْهُ.

Faites donc preuve de piété à l'égard de Dieu, *Al-'Aliyyou l-Qadir*, Lui Qui dit dans Son livre Honoré ce qui signifie : « **Ô vous qui avez cru, faites preuve de piété à l'égard de Dieu et que chacun considère ce qu'il a préparé pour le Jour dernier, et faites preuve de piété, certes, Dieu sait tout ce que vous faites.** »

La piété à l'égard de Dieu, mes frères de foi, repose sur deux piliers éminents : accomplir les obligations et se garder des interdits... se garder des péchés. Aujourd'hui, nous parlerons, si *Allah ta'ala* le veut, d'un péché que les savants ont compté parmi les péchés du cœur : l'orgueil envers les gens – *al-kibr* –, que Dieu nous en protège. Ainsi, l'orgueil envers les gens, esclaves de Dieu, fait partie des péchés du cœur et il est de deux sortes. La première, c'est de ne pas accepter la vérité, c'est-à-dire connaître la vérité et ne pas s'y conformer, ne pas s'en tenir à la vérité. La deuxième sorte, c'est le fait de mépriser les gens. L'orgueil trouve son origine dans le cœur, même s'il se manifeste à travers les actes des organes. En effet, lorsque le cœur éprouve de l'orgueil, ses effets apparaissent sur les organes. Ainsi, l'orgueilleux méprise les pauvres ou les considère d'une façon hautaine, ou bien rejette la vérité énoncée par quelqu'un d'autre tout en sachant que ce qu'il dit est correct, parce qu'il est plus jeune ou a moins de réputation que lui. De même, il y a celui qui fait preuve d'orgueil dans sa façon de marcher, il marche avec la démarche des vaniteux par orgueil. Tout cela fait partie des grands péchés. Il est parvenu dans le *hadith* que les orgueilleux seront rassemblés au Jour du jugement en ayant la taille de petites fourmis rouges que les gens écraseront de leurs pieds.

Mes frères de foi, vous avez à faire preuve de modestie. Effectivement, le Messager de Dieu ﷺ a dit ce qui signifie : « **Certes, vous négligez l'un des meilleurs actes d'adoration : la modestie.** » C'est pour cela que les grands compagnons, que Dieu les agrée, comptaient parmi les gens les plus modestes. Notre maître *'Oumar*, que Dieu l'agrée, alors qu'il se rendait à la *joumou'ah* – la prière du vendredi – et qu'il avait mis un vêtement que les musulmans portent à cette occasion, il est arrivé que, de la gouttière de l'habitation de *Al-'Abbas*, du sang de deux poules qui avaient été égorgées et mélangé à de l'eau avait coulé sur lui. Il est donc reparti laver la partie souillée puis il a dit : « *Qu'on retire cette gouttière.* » On la retira donc. Par la suite, *Al-'Abbas* a dit : « *Mais c'est le Messager qui l'a posée !* » *'Oumar* avait alors dit : « *On la remet comme elle était.* » Il demanda à *Al-'Abbas* : « *Monte sur mon dos et remets-la comme elle était.* » L'Émir des croyants, *'Oumar*, il

a dit à *Al-ʿAbbas*, l'oncle paternel du Messager de Dieu ﷺ : « *Monte sur mon dos* » ! Et comme il a insisté beaucoup auprès de lui, *Al-ʿAbbas* est monté sur son dos et a remis la gouttière en place.

Le résultat de la modestie, mes frères, c'est d'être sauf de la vanité – *al-fakhr* –. *Allah taʿala* n'agrée pas la vanité de la part de Ses esclaves, que ce soit par le choix de l'habillement, ou de l'ameublement, ou du type d'habitation, ou des choses de ce genre. Si quelqu'un fait quelque chose par vanité, c'est-à-dire pour montrer qu'il a un mérite par rapport aux gens et que les autres, eux, ne l'ont pas, il commet un grand péché.

Ainsi, la vanité consiste à faire cela pour attirer l'admiration des gens. Le vaniteux veut que les gens lui réservent une distinction particulière dans leur façon de le regarder et de l'admirer. Par conséquent, s'il s'habille avec de beaux habits par vanité, il commet un péché... S'il achète pour son habitation de beaux meubles par vanité, il commet un péché... S'il roule dans une voiture de luxe par vanité, il commet un péché... Et s'il construit une maison par vanité, il commet un péché, c'est-à-dire un péché parmi les plus grands et les plus graves.

Mais s'il fait tout cela pour s'embellir uniquement, et non pas par vanité, s'il met des vêtements élégants pour s'embellir seulement, pour se sentir bien, pas par vanité, ou s'il conduit une belle voiture pour le simple côté esthétique, et non par vanité, il ne se charge pas d'un péché.

وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ أَمَرَكُمْ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ، أَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ فَقَالَ ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾<sup>٣</sup> اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى ءَالِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ. يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَدْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾، اللَّهُمَّ إِنَّا دَعَوْنَاكَ فَاسْتَجِبْ لَنَا دُعَاءَنَا فَاغْفِرِ اللَّهُمَّ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ غَيْرَ ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا وَعَافِنَا رَوْعَاتِنَا وَكَفِنَا مَا أَهَمَّنَا وَقِنَا شَرَّ مَا نَتَخَوَّفُ اللَّهُمَّ اجْزِ الشَّيْخَ عَبْدَ اللَّهِ الْهَرَيْرِيَّ رَحِمَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ عَنَّا حَيْرًا. عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ اذْكُرُوا اللَّهَ الْعَظِيمَ

<sup>٣</sup> سورة الأحزاب/٥٦.

<sup>٤</sup> سورة الحج/١-٢.

يَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوهُ يَزِدْكُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ يَغْفِرْ لَكُمْ وَاتَّقُوهُ يَجْعَلْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَخْرَجًا، وَأَقِمِ  
الصَّلَاةَ.